

عنوان الوحدة وضرورة مواجهة التيارات التكفيرية

عنوان الوحدة وضرورة مواجهة التيارات التكفيرية

الشيخ عبد المجيد عمار / لبنان

الكفر في اللغة فرع الإيمان

وبما أن الإيمان منبع من المفهوم الديني يأتي الكفر والتكفير هنا في نفس السياق .

وقد نجد حالات مناهضة داخل الفكر المادي العلماني إلا أن المصطلحات الدارجة بعيدة عن الكفر كمصطلح ومفهوم وقد تلجم إلى مفردات / تمرد / زندقة / مارق ...الخ.

وبهذا يمكن القول أن الكفر كمصطلح جاء في سياق الإيمان ، والمشروع الديني .

ولطالما كان استعمال الكفر كتهمة ضد آخرين إنما تكون صادرة عن خلقيّة دينية كثافة وانتماء .

كتهم الكنيسة في العصور الوسطى لكلٍّ من خالفها وتهم بقية المجتمعات الدينية لمن خرج عليها .

واليوم تلتصح هذه الصفة لجماعة من المسلمين تنطلق في مركباتها ومبانيها الفتواوية على تكفير الآخر واقصاءه ولاعتبارات مختلفة .

والتكفير ليس وليد اليوم بتاريخ الإسلام ، بل يعود إلى العصر الأول ولعلَّ الخوارج الذين خرجنوا

على الإمام علي (عليه السلام) أول من جنح لذلك ، ثم توالى المدارس الكلامية وخلافاتها حتى أصبح التكفير منهاجاً عند بعضها ومبني فكريًا قائماً حتى

يؤمننا هذا .

ولعلَّ التصاق التكفير بالحالة السلفية يعود إلى هذا حتى يكاد يُصبح مرادفاً لها وهذا الذي ترفضه تيارات سلفية تطلق على نفسها تنويرية أو دعوية تناهى بخطابها الدين عن الحركات التكفيرية القائمة اليوم .

ويمكن القول إلى حدٍ ما أن ما بين الحالتين السلفية والتكفيرية عموماً وخصوصاً مطلقاً / فكلَّ تكفير سلفي النشأة في حين بعض السلفي تكفيري ، " وهذه مسألة جدلية بينهم "

تحتفل صوابط التكفير تجاه الأشخاص أو الجهات .

ففي حين يتم تكفير المذهب الشيعي بكل تفريعاته وإن بأبعاد متعددة . فإن تكفير جهات أخرى قد يقوم على اختلافات عقدية أو شبهات حكمية كالحكم بکفر من يهادن الضلال أو الأنظمة العلمانية وغير ذلك.

وهذا يعني صوابط التكفير لا يمكن حصرها خاصةً أنها كمبايني فكرية تكاد لا تخلو منها مدرسة أو مذهب .

وإن كان المتفق عليه بين جلَّ المذاهب أن المسلم لا يخرج من الدين إلا ما أدخله فيه

(اشارة إلى الشهادتين) .

فما دام يؤمن بالوحدةانية وبنبوة محمد (ص) فهو مسلم ويخرج من الإسلام إذا انكر أحد هذين الأصلين أو كلاهما .

وإن كان الخلاف بين المذاهب وتعدد الاجتهادات داخل المذهب الواحد حول صوابط التكفير يضعنا أمام تعقيدات اضافية في مقارنته .

والاجهادات في هذا المجال أكثر من أن تُحصى .

فمن قائل ان مجرد السبب مducta للنفر ومن يفرق بين الكفر الاعتقادي والعملي و منهم بين الظن والشبهة في تطبيقاته الى كلٍّ ما ورد في نقاشات المذاهب الكلامية .

كل هذا قد يندرج في سياق البحث العلمي الموضوعي لهذه المبني وهذا من اختصاص المجتمع العلمية المتخصصة والمراجع الدينية القائمة .

وقد لا يتسع هذا المقام لمثل تلك المطولات وكيف لا تستغرق في ذلك المحيط المتلاظم يهمنا أن نركّز على العصر المتأخر الذي أيقظ هذا النقاش وأسسَ لأن يصل الأمر الى هنا .

أيقاط الفتنة

ان ما قامت به الوهابية الناشئة في مطلع القرن الماضي من ترتيب الآثار على الفكر التكفيري وقامت بهدم قبور الأولياء والأئمة ولولا قيام العالم الإسلامي لأنت سياستهم على هدم قبر رسول الله (ص) . ولا أدرى اذا كانت الكعبة الشريفة ستَسلم منها .

بالاضافة الى اعتماد النظام السعودي على هذه النظرية التي قام بنشرها حتى كاد أن يختزل الاسلام بها ، عاماً على اقصاء الجميع بدون استثناء وساعد على ذلك ما توفر عنده من امكانيات مادية ومطلة دولية استعمارية داعمة ، حتى نمت هذه الحالة وبات الاسلام لا يُقرأ إلا من كتبهم وفكيرهم الهدام .

وعلى هامش هذا نلفت الى ما تعاني منه المجتمعات الغربية من استقطاب الفكر التكفيري لعناصره كظاهرة غير مألوفة ، وإنما يعود السبب في ذلك الى افعال المجال الغربي أمام الاسلام الأصيل في حين سمح لما تُرُوج له الوهابية من أفكار فتنوية ظناً منها وإسهاً ماً في تفكيك المسلمين وضرب وحدتهم

....

ولكن شاءت الأقدار أن يتجرع الغرب من كأس سُمّهم ومؤامراتهم .

وكذلك بدأت بعض الانظمة العربية والتي لطالما شكّلت بيئه حاضنة لهذا الفكر الهدام في مواجهة تداعيات هذه الحالة الشاذة بعدها لامست مخاطرها كياناتهم وأمنهم .

وليس عبثاً أن تنعقد مؤتمرات عدّة وفي أماكن مختلفة لمحاصرة هذا الانحراف أو اسقاطه وما المؤتمر الذي انعقد في مدينة غروزني في 25/آب/2016 . وما سبقه في دول أخرى إلا بعض تحليات مخاطر الانحراف التكفيري وتداعياته .

بواطن الانحراف الجديد

يكاد يجمع العالم الإسلامي بمجاميعه العلمية ومرجعياته الفقهية على أن ظاهرة التكفير التي تعصف بالأمة اليوم إنما قامت على خلفيات سياسية وإن حاول روادها اضفاء الشرعية عليها وارجاعها إلى السلف منهم .

فمنذ تقسيم العالم الإسلامي عشية سقوط السلطنة العثمانية والنظام السعودي يحاول بسط مرجعيته ونفوذه .

فأطلق العنوان لفكرة الوهابي الهدام لاختزال الإسلام واقتضاء كل المدارس الفكرية والمرجعيات الدينية .

بما فيها جامعة الأزهر وبباقي المجاميع بفضل التأثير السياسي والامكانيات المادية الهائلة مستفيداً من إدارته المغلقة للحرمين وشعائر الحج .

وقد استطاع إلى حدٍ ما أن يُعطلَ مفاعيل كل المجاميع الفكرية والمدارس الفقهية في أغلب دول العالم الإسلامي وحواريه العلمية .

إن ما شهده العالم الإسلامي في فترات سابقة من توطيد لأواصر العلاقة بين المسلمين ومذاهبهم إلى حدٍ تدرّس الفقه الجعفري في جامعة الأزهر في القاهرة حتى كانت الأمة تتوحد باعتبار الاجتهادات الفقهية مجالات مفتوحة ومدعّاة لاستنهاض الأمة وقياً لها .

ولكن مع الأسف تراجعت الأمة كثيراً إلى الوراء وزادها ما نشهده اليوم من صراعات سياسية بامتياز يعمل كل محور على اصطفافاته ورص صفوفه .

وبتعبير آخر نقول :

إن انتصار الثورة الاسلامية في ايران سنة 1979 من القرن الماضي أحدث تحولاً هائلاً بالمنطقة بل وفي العالم ، وكان بمثابة الزلزال الذي لا زالت ترداداته حتى يومنا الحاضر.

لقد اهتز العالم الغربي وعلى رأسه اميركا ومعها الكيان الغاصب في فلسطين .

ومعها اهتز النظام العربي وخاصة الوهابي منه من تداعيات هذا الحدث .

وقد تقاطعت مصالح الفريقيين بالقضاء على هذا الوافد الجديد وبدأت بذلك حروب المنطقة التي لم تهدأ حتى هذا اليوم .

أسعرت الوهابية نار الفتنة في العالم الاسلامي

وحشدت لذلك كل القوى التي طالما جهزتها لهذا الوقت وخاصة عندما فشلت كل محاولات اسقاط أو محاصرة الثورة الاسلامية في ايران .

اليوم يكاد يكون هذا عنوان المعركة الممتدة من اليمن الى أقصى بلاد الشام مروراً بالبحرين والعراق ولأسباب لا تخفي على احد .

كاد النظام الوهابي على أبواب التربع على عرش الأمة الاسلامية بعد أزمات ما يسمى بالربيع العربي

ولكن حضور الجمهورية الاسلامية الايرانية ومشروعها الاستئنفاسي أعاد خلط الأوراق.

ففي فلسطين انتصرت المقاومة وهي اليوم تحدياً استراتيجياً للكيان الغاصب ، وأعلاً منبعاً في نفوس الملايين من المسلمين .

وفي لبنان انتصرت المقاومة على العالم وليس فقط على الكيان الغاصب حتى اعتبرها العدو الصهيوني كما وصفها بالتهديد الأخطر الذي يواجه الكيان .

وفي سوريا لطالما كانت نصيراً ومناصراً وممراً لكل الفحائل المقاومة ومشروعها .

وفي العراق الذي أصاب النظام الوهابي بخيبات الأمل عندما رأى أن حلمه القديم الجديد يتهاوى .

هذه الصورة تخنzel كلـ" المشهد .

وإذا كنا اليوم أمام تهاوي المشروع التكفيري واندحاره يبقى العمل منوطاً بمحو آثار هذا الفكر وما خلّفـه من تداعيات مدمرة طالت جلـ" مكونات الأمة .

والسؤال :

كيف نحافظ على الوحدة الإسلامية .

وكيف نواجه التيارات التكفيرية وتداعياتها ؟

هناك محطتان بارزتان يجب التوقف مليّاً عندهما والبناء عليهما

الأولى :

فشل المشروع التكفيري ومعه الفكر الوهابي بكلـ" امتداداته وفروعه .

الثانية :

ما حدث في مؤتمر غروزني الذي انعقد بتاريخ 25/آب 2016م. وما صدر عنه من مقررات وازنة .

بالاضافة الى مؤتمرات عددة عُقدت في السعودية ومصر وغيرهما .

ففي المشهد الأول :

نرى انقلاب السحر على الساحر وبدأ العالم أجمع يعيش تداعيات الإرهاب التكفيري

الذي أقض مضاجع أمنهم وأما نهم ومصالحهم .

وإن كانت مكايدة بعض الأنظمة تستقطع بعض الوقت لتحسين شروطها التفاوضية في التسوية السياسية .

لا ان الوقت ليس لمصلحتها ، وها نحن نسمع صراخها واستغاثتها .

لقد اطلق العالم المارد التكفيري لمحاصرة واسقاط محور المقاومة التي أحكمت سيطرتها بعد انتصارها في تموز 2006 م. في لبنان و2008م. في فلسطين .

والليوم نحن على أبواب انتصارات مجيدة مؤثرة مع تهادي القوى التكفيرية ومن خلفهم .

حيث يحاول العالم التقاط انفاسه للحفاظ على بعض مصالحه ومعه أنظمة حليفه تعمل على حفظ أمنها قدر الإمكان .

وفي المشهد الثاني :

نرى بداية صحوة جديدة للمجتمع العلمي في الأخذ بزمام المبادرة وتصويب بوصلة المصراع وتشخيص مكان الخطر الفعلي بل وحصره في التيارات التكفيرية الهدامة .

وهذه خطوة كبيرة باتجاه مواجهة التيارات التكفيرية وتجريدها من أي " انتقاماء .

يبقى علينا العمل لإعادة الاعتبار للوحدة الإسلامية بين كل مكونات الأمة وواقع قرارها ومجاميعها لتوحيد الجهود لمنع التداعيات ومحو آثار تلك التيارات .

من هنا

نقترح على مؤتمركم الكريم العمل على :

أولاً : تحديد ثوابت المرحلة والأصول الحاكمة على العلاقة بين المسلمين ومنها لا على سبيل الحصر

- الإسلام أمة واحدة تدين بالقرآن الكريم وأحكامه كما السنة النبوية الشريفة .

- إن^٣ الاختلافات الفقهية اجتهادات ولا ينبغي لها أن تُحدث خلافات وانقسامات وإصطدامات مذهبية وغيرها .

- إن أعداء الأمة يتربصون بنا الدوائر علينا مواجهتهم كأمة واحدة وخاصة لأنهم لا يُفرقون بين مذهب وآخر أو طائفة وأخرى .

وجل^٤ مشروعهم قائم على تفكيك العالم الإسلامي وضرب وحدته التي هي مصدر قوته وأساسها .

وعلى رأس هؤلاء الاستعمار الجديد والكيان الغاصب في فلسطين المحتلة .

ثانياً : النظر إلى ان تهديد التيارات التكفيرية يشكل خطراً وجودياً في حين تعتبر مخاطر الكيان الغاصب تهديداً استراتيجياً للأمة ومن هنا :

على الأمة (كل الأمة) بمذاهبها ، ومكوناتها معنية بمواجهة المشروع التكفيري واسقاطه .

وحيث ثبت ومن خلال التجربة ان التيارات التكفيرية لا تُفرق بين مذهب وآخر أو فريقاً وآخر .

فكيف اذا رأينا خروجه على من أطلقه وأمده بكل^٥ المقومات والحركة .

ثالثاً :

البناء على مقررات المؤتمرات المنعقدة سابقاً وفي شتى الأقطار والتي استهدفت التيارات التكفيرية ومشروعها . للوصول إلى تأليف لجان مشتركة ومنتسبة من جميع المؤتمرات لتوحيد الجهود وتفعيلها والاستفادة من كل طاقات الأمة وموافعها .

على ان يتم التركيز على لجنة عليا تمثل المرجعية الشيعية والمرجعية السننية لتوثيق المقررات وتحديد سياسات المواجهة ومتابعتها .

رابعاً :

السعي لإنشاء مركز بحثي علمي عالمي يُسهم فيه كبار العلماء المفكرين ويتولى إجراء الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة والموضوعية المتعلقة بالجماعات التكفيرية وجذورها وبيان مخاطرها وسبل مواجهتها .

خامساً :

محاصرة الفكر المتطرف ولأي جهة إنتمى بغية القضاء أو الحد من الآثار المذهبية وتداعياتها والتي منها فضائيات الفتنة المنتشرة ، والخطاب الفتني المنبعث منها .

مع تمنياتنا بكل التوفيق لمؤتمركم الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ عبدالمجيد عمار / لبنان